اسرائيل ملزمة بتنسيق مواقفها مع العالم بخصوص الموضوع الاول فقط

يجب الفصل بين موضوع السلاح النووي الايراني وبين تصريحات نجاد بصدد الكارثة اليهودية

■ يوجد موضوعان أساسيان يظهران في مسألة علاقاتنا مع ايران، ولا بد من الفصل بين هذين الموضوعين: الموضوع النووي من جهة، وموضوع التكذيب الايراني لمسألة المحرقة النازية، كما جاء ذلك على لسان رئيسها أحمدي نجاد.

الموضوع الخاص بالطاقة النووية معقد، وكل من تدخل في هذا الموضوع حتى الآن، الوكالة الدولية للطاقة النووية، الولايات المتحدة، الاتحاد الاوروبي، كلهم لم يحققوا أي نتائج، بل والأكثر من ذلك، فان الموقف المهادن والتصالحي الذي انتهجته المجموعة الاوروبية في مفاوضاتها مع ايران بهذا الخصوص، فشلت ولم تحقق المفاوضات المطولة مع ايران أي نتائج. وقد تكون النهاية الحتمية لهذا الموضوع هي رفع ملف ايران النووي الى مجلس الأمن، ولكن حتى لو تم اتخاذ قرار في مجلس الأمن بفرض عقوبات على ايران، وهو الأمر الذي يبدو مشكوكا فيه حتى الآن، فان ايران ستتمكن من مواجهة ذلك بصورة جيدة، ذلك لأن العالم كله بحاجة ماسة الى النفط الايراني.

موضوع تطوير ايران للطاقة النووية أصبح موضوعا مقلقا لجميع دول العالم، وليس مقلقا لاسرائيل فقط. ففي الوقت الذي لم تعُد فيه أي دولة في العالم تعرف كيف يجب عليها التصرف بهذا الخصوص، فانه ليس من المعقول، بل ولا يجوز، لاسرائيل أن تُظهر نفسها على أنها «رأس الحربة» الضاغطة على العالم لكي يستعمل الحل المبني على استعمال القوة.

ربما تصل الامور، فيما بعد، الى مثل هذه النقطة، لكن الاقوال التي تُسمع في اسرائيل بهذا الخصوص ليست ذات فائدة وليست في مصلحتها، بل ان ما يمكن فهمه من هذه الاقوال هو ان اسرائيل تريد فقط استعمال القوة مع ايران. من الواضح أن الأفضل لنا هو ترك الامور في أيدي الولايات المتحدة واوروبا مع تحفظها على امكانية وقدرة هؤلاء على النجاح، وبذلك فان أحاديث وتصرفات من جانب اسرائيل لا تسهم إلا في زيادة الضرر باسرائيل.

إن نفي حدوث الكارثة النازية من قبل الرئيس الايراني، يعتبر مسألة ثانية لا علاقة لها بالاولى. ففي هذه المسألة تجاوز الرئيس الايراني خطا أحمر في هذا الموضوع، وهنا لا بد لاسرائيل من الرد بعنف، ولكن دون ربط ذلك بالموضوع النووي، فلا يمكن السكوت على تصريحات رئيس دولة عضو في الامم المتحدة، يهدد فيها بالقضاء على دولة اسرائيل وينفي في نفس الوقت حدوث الكارثة. لذلك يتوجب على اسرائيل وبتنسيق تام مع مؤسسة «يد واسم» التوجه الى رؤساء الدول الديمقراطية في العالم لمطالبتها ببلورة موقف موحد لشجب تصريحات الرئيس الايراني التي ينفي فيها حدوث الكارثة لليهود في اوروبا على أيدي النازيين (مع أن غالبية تلك الدول فعلت ذلك ولم تنتظر دعوة اسرائيل لها لفعل ذلك). وأن تطلب منها ايضا اضافة الى ذلك الاعلان عن أن الرئيس الايراني «شخصية غير مرغوب فيها»، ومطالبة جميع الدول الديمقراطية بأن تفرض حظرا على استقبال الرئيس أحمدي نجاد، أي ليس على ايران كدولة، ولكن عليه كشخص مسؤول. وبذلك فهو لن توجه اليه الدعوة لزيارة أي دولة من دول العالم. بل أكثر من ذلك، فانه لن تُسمح له بالزيارة حتى لو كان ذلك بصورة شخصية وليس كرئيس دولة.

والأكثر من ذلك، فانه لا بد من التعامل معه وكأنه مصاب بمرض الجذام بين اوساط الأسرة الدولية، وهذا الطلب يمكن طرحه من خلال أي اجتماع يعقد مع رؤساء الدول أو من خلال اللقاءات التي يجريها وزير الخارجية مع وزراء خارجية دول العالم (وخصوصا الدول الديمقراطية)، وهذا يجب أن يبقى موضوعا خاصا ولا علاقة له بموضوع الطاقة النووية الايرانية.

ان خطوة من هذا النوع والتي تعني المقاطعة، ليست إلا خطوة رمزية فقط، ولكنها مع ذلك توصل الفكرة لكل العالم، بحيث تؤكد أنه في حالة وجود خلافات في وجهات النظر بين أجزاء العالم، فانه يمكن التعامل مع مثل هذه الخلافات، ولكن نفي وتكذيب الكارثة اليهودية لا يمكن السكوت عليه والمهادنة فيه، وعلى الدولة اليهودية يتوجب فعل ذلك.

شلومو افنيري
محاضر في الجامعة العبرية
(يديعوت احرونوت) 2006/1/31

الموازنة التاريخية لا أساس لها لان التاريخ لا يكرر نفسه

الليكود في حملته الانتخابية يتمسك بالتسوية بين حماس وهتلر لمكافحة منافسيه من الاحزاب الاخرى

■ هكذا تكلم نتنياهو: «عندما قام هتلر ايضا قالوا انه لا ينوي وأن السلطة ستعدله.. في الكارثة لم يصدق لا اليهود ولا الصهاينة. عندما أنذر جابوتنسكي، رفضوا قوله وقالوا انه يتنبأ باشياء سوداء. لم يصدقوا ولم يستعدوا: قبل بضعة أيام قام طاغية جديد. يجب فهم هذا».

في كل عصر وعصر يقوم هتلر جديد ويهدد بالقضاء علينا. وفي كل عصر وعصر يقوم جابوتنسكي جديد وينذر، وفي كل عصر وعصر يهدد ضئيلو الايمان بجلب كارثة على شعب اسرائيل. اذا ما أتاحوا فقط لجابوتنسكي ذلك العصر بأن يبقى حيا فاننا سننجوا ونستنقذ. الدورية التاريخية كما يبدو، دائمة. يجب أن نتبين فقط من هو هتلر المناوب، ومن هو جابوتنسكي المناوب وما هي بالضبط الادوات التي يطلب جابوتنسكي ان توضع في يديه. أما من هم ضئيلو الايمان الذين يهددون بجلب كارثة على اسرائيل فلا يجب أن نستوضح ذلك ـ لان هذا الدور يقوم به دائما «اليساريون» ـ من بيلين الى شارون.

لو كان بنيامين نتنياهو نشأ في بيت مؤرخ، بن تسيون نتنياهو مثلا، لكان عرض ان التاريخ لا دورية فيه، وان اله المؤرخين موجود في التفصيلات (مثلا في الفروق بين قوة اوروبية عظيمة مثل المانيا وبين أمة ضعيفة منحلة مثل الامة الفلسطينية، وبين قلة عاجزة مثل يهود اوروبا وبين قوة اقليمية مثل اسرائيل). كان سيعرف ان العبرة الاكثر تضليلا التي يمكن استخلاصها من التاريخ هي أنه يكرر نفسه، وبناء على ذلك يمكن تقديم أدوية قديمة لامراض جديدة. الادوية التي لا يصح استعمالها لقدمها تسبب الضرر، الذي يكون احيانا ضررا كبيرا.

كل الحملة الانتخابية لليكود تنبعث عنها رائحة اضطراب شديدة من انعدام التفكير الحي ـ مرة اخرى تهديدات من المقسم المناوب للقدس، ومرة اخرى تخويف بـ «حدود اوشفيتس»، ومرة اخرى تلميحات الى الطابور الخامس في داخلنا.

يكرر نتنياهو خطأ المستوطنين في غوش قطيف. فهو يعتقد أن الاشتراطات التقليدية للجمهور ما تزال ذات فعل، وانه يكفي أن يقال «هتلر»، أو «كارثة»، أو «سيقسم القدس» لاحضار الجماهير الى صناديق الاقتراع من جديد. انه مخطىء.

انه مخطىء أيضا في الدروس التي يستخلصها من صعود حماس. هذا الحدث هو تحذير قوي جدا للعالم الغربي كله. فالانتخابات الحرة، كما يتبين، ليست ضمانا لصعود حكم مشايع للغرب، منفتح علماني؛ انها تستطيع ان تفضي الى نتيجة عكسية. ان التمسك الامريكي باسطورة ان وضع صندوق الاقتراع في وسط المدينة سينشىء، كما في عمل السحرة، ديمقراطية حرة، هو تعبير آخر عن تفكير غير تاريخي، وعن تمسك بعقيدة تشابه العقيدة الدينية، تناقض الحقائق. ماذا نفعل؟ حماس منظمة ارهابية. الامم التي تقيم على رأسها منظمات كهذه يجب أن تفهم ان لانتخابها ثمنا. ولكن من ناحية التهديد الوجودي الذي فيه لاسرائيل، حماس ـ مثل السلطة كلها ـ هي جهة لا طائل منها. كانت لارهاب حماس نجاحات تكتيكية محدودة وأثر استراتيجي محدود. فالارهاب لا يقوض دولا.

ان التمسك الاسرائيلي بالماضي «من اجل المستقبل» يعبر عنه تعبيرا ساخرا آخر بتصريح شاؤول موفاز، عن أنه لن يلغي التسوية مع المدرسة الدينية التحضيرية في الون موريه بإزاء الدعوة التي لا لبس بها لرئيس المدرسة الحاخام الياكيم ليفانون لطلابه، ان يرفضوا الامر العسكري اذا ما طُلب اليهم المشاركة في اخلاء مستوطنات. وافق موفاز على أن يلغي الاجراء اذا ما نشر ليفانون رسالة، يتخلى بها من دعوته ويعلن عن أنه لن يتصرف هذا التصرف في المستقبل. وها هو ذا مثال أمامكم على الغاء الحاضر. فلم يعد الانسان محتاجا الى تحمل المسؤولية عن افعاله. يكفي أن يعلن عن أنه يأسف للماضي ويؤمل الخير في المستقبل. بعد أن يدعو الى الرفض في المرة القادمة، سيستطيع ليفانون أن يعلن مرة اخرى بانه تعلم الدرس، وأنه يأسف للماضي، وهكذا دواليك، الى الابد. المشكلة هي أن الماضي لم يعد موجودا وان المستقبل لا يزال غير حاضر. يجب على أحد ما أن يعالج الحاضر.

افيعاد كلينبرغ
كاتب دائم في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/1/31

نتنياهو لا يزال يعتقد أن استعمال اليد الفولاذية واللجوء الى القوة هو السلوك الوحيد الذي يساعد اسرائيل

■ النمر لا يخرج من جلده، وكذلك فان نتنياهو لا يمكن إلا أن يبقى بيبي. ففي الايام القليلة الماضية وقعت بين يدي نتنياهو حادثتان سقطتا عليه كهدية من السماء، وهو كالعادة يريد استغلال ما يقع بين يديه دون إبطاء أو تمهل. الحدث الاول تمثل بحلول ذكرى الكارثة والبطولة، والثاني تمثل بفوز حماس في الانتخابات الفلسطينية. فهذا الحدث كان بالغ الصعوبة والأهمية، ولكن نتنياهو لم يفهم من ذلك إلا أمرا واحدا وحيدا، حيث سارع الى استخلاص العبر وأخذ يُعلم الناخب الاسرائيلي الدرس والعبرة الواجب استخلاصهما من هذين الحدثين: «عندما يقول أحدهم انه يريد تدميرنا وتصفيتنا، فانه يتوجب علينا أن نأخذ هذا التهديد على محمل الجد وأن نتعامل مع هذه التهديدات بصورة جدية ودون إبطاء».

إن الدخول والتسلل الى الأمعاء والبطن الداخلي في اسرائيل، من خلال محاولة المساس بالعصب الحساس ذي العلاقة بذكرى الكارثة والبطولة، وتكون من النوع الذي يمس بالخطوات السياسية التي تنتهجها دولة اسرائيل، فان ذلك ليس إلا لعبة سياسية ومناورة مدروسة ومعروفة سابقا. فذكرى الكارثة، كما هو معروف، تشكل عمودا فقريا في ذاكرة الجمهور الاسرائيلي وبالنفسية القومية لمجتمعنا الاسرائيلي، ولكن ذلك قد زال تقريبا في العقود الأخيرة من حياة الاسرائيليين والدولة، وانحصر شيئا فشيئا وشارف على حدود «اوشفيتس» التي رسمها آبا ايبان في كتابه، ووصولا الى منظمة التحرير الفلسطينية التي يصفها نتنياهو بأنها «لم يكن هناك منظمة مثيلة لها في الاجرام منذ ايام النازية»، كما سبق وعبر عن ذلك رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق مناحيم بيغن. ففي ظروف اخرى كان يمكن السخرية من مجرد الاستماع الى محاولة الربط بين مصير يهود اوروبا الذين لم يوجد من يدافع عنهم في سنوات الثلاثين من القرن الماضي وبين حالة ومصير المواطنين اليهود في دولة اسرائيل المستقلة وذات السيادة والتي تملك واحدا من أفضل جيوش العالم وأكثرها تطورا. ومن جهة ثانية، فانه لا يمكن اتهام نتنياهو اذا كان الهدف الوحيد الذي يريده بذلك هو تخويف الاسرائيليين، لأنه لا يوجد شيء يخيف الاسرائيليين أكثر من إثارة ذكرى المحرقة.

لكن المشكلة في نظرية نتنياهو التي تظهر الآن كمكبر للصوت، لا تكمن فقط في استخدام هذا اليمين لذكريات الحرب العالمية الثانية وما واجه يهود العالم خلالها من أخطار وجودية، لكن الأخطر من ذلك هو تمسكه باستخدام كل ما له علاقة بيننا وبين الفلسطينيين كمحرك ومحرض للقبول بوجهة نظره، مع أنه يستخدم ذلك على نحو مغلق ومحدد دون انفتاح ودون محاولة للفهم والتفهم.

نتنياهو ينظر الى جميع الامور من خلال نظرة واحدة، وبعين لا ترى إلا التحذير والردع، فهو يعتقد ان «اجراءات وخطوات حازمة ضد الفلسطينيين تقوي وتدعم سياسة وموقف اسرائيل، وأن خطوات بالاتجاه المعاكس تمس بقوة اسرائيل الردعية، وتُعرضها للأخطار».

بنيامين نتنياهو

بكلمات اخرى أكثر تحديدا: إن استعمال القوة العسكرية الشديدة ضد الفلسطينيين من جهة، والتشدد المبالغ فيه في الاتصالات السياسية معهم من جهة ثانية، سوف تُفهِم الفلسطينيين وتقنعهم وتوصلهم في نهاية المطاف الى طريق الإقرار والاعتراف غير المشكوك فيه بوجود دولة اسرائيل، وتُجبرهم في نهاية الأمر على القبول بجميع الشروط التي تعرضها اسرائيل.

من البيّن أن هذا التصور فشل مرة تلو اخرى. إن سياسة غولدا مئير وموشيه ديان للتمسك بالمناطق، عن اعتقاد أن «العرب سيُسلمون للوضع»، أفضت الى حرب يوم الغفران، واستمرار الاحتلال ولّد الانتفاضة الاولى، والمكوث البائس لـ 18 سنة في جنوبي لبنان لم يُقوِ اسرائيل شيئا، بل ولّد حزب الله فحسب. والآن ايضا: بذر الاحتلال المتواصل بذور حماس.

وزيادة على ذلك، فان النظرية الاستراتيجية المبنية على قوة الردع التي تبناها عدد من القادة في اسرائيل، هذه النظرية تتجاهل وجود معطيات اخرى ليست أقل أهمية للمجتمع والدولة، وقد يكون أبرزها هو الثمن الاخلاقي الذي ينتج عن استمرار الاحتلال والسمعة السيئة والوجه البشع لاسرائيل الذي يراه العالم بسبب ذلك. فبسبب استمرار اسرائيل في احتلالها للمناطق الفلسطينية تحولت اسرائيل في نظر الكثيرين من شعوب العالم ودوله، من ملجأ شرعي ليهود العالم، ومن منارة للعلم والتقدم التكنولوجي في منطقة الشرق الاوسط، الى قوة عظمى احتلالية بالغة العنف والوحشية.

وبتفكير آخر، فربما يكون نتنياهو صادقا، فانه يوجد شبه بين حالة اليهود في اوروبا وبين المواطنين في دولة اسرائيل عام 2006. ففي ذلك الوقت كان يمكن لليهود أن ينقذوا انفسهم لو فهموا حجم الأخطار المحدقة بهم وقرروا الهجرة الى اسرائيل، والآن فان المهمة الاولى اللازمة لتقوية أمن الدولة والمواطنين فيها، ليست إلا انهاء هذا الاحتلال الاسرائيلي والعودة الى داخل الدولة، أي الانسحاب الى داخل اسرائيل والتخلي عن المناطق.

رافي مان
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/1/31

يطرحون أمام شعوبهم هدفا بعيدا يقوم على افتراضات أساسية لا تتغير مع مرور الوقت

تعلمنا بعد سنوات ان المفاوضين الاسرائيليين الكذابين وليس القادة العرب

■ القادة العرب يُعتبرون في نظرنا كذابين، إلا أن سنوات عيشنا الى جانب أبناء اسماعيل ملزمة بتعليمنا أن مفاوضينا هم كذابون على المستوى التكتيكي، ومُحقون على المستوى الاستراتيجي. المقصود بذلك أنهم يطرحون أمام شعوبهم هدفا بعيدا يقوم على افتراضات أساسية لا تتغير مع مرور الوقت: اسرائيل هي نبتة غريبة، وسيؤول المطاف الى الدمار، الى أن يأتي ذلك اليوم الذي يسمحون فيه لانفسهم بقول أمور يمكن تفسيرها بعدة أوجه والغمز بها من اجل إيهامنا بأن هناك فرقا بين البرامج الحماسية وبين السياسة العملية. وفي المقابل، نبدو نحن ككذابين استراتيجيين، ولكننا مُحقون على المستوى التكتيكي. فنحن لم نُحدد لانفسنا أبدا تصورا متفقا عليه، ولكننا معتادون على تسخير أنفسنا للنظريات التي تتلاشى خلال سنوات معدودة. سلّمنا بالحدود التي حظينا بها في حرب النهوض واستغلينا حرب حزيران حتى نوسعها وصرحنا بأن المناطق المحتلة ستبقى تحت سيطرتنا طالما لم يتراجع العرب عن لاءات الخرطوم وقمنا ببزرع المستوطنات فوق الاراضي المحتلة حتى لا ننسحب من الاراضي التي حكم الله في السماء لنا بها، وندمنا ووعدنا بإخلاء مستوطنات بعيدة. لم نفعل ذلك، وها نحن الآن ننتظر اولمرت حتى يُحدثنا عما نريده فعلا. نحن نرى بأنفسنا أناسا ينطقون بالحقيقة الناصعة، جنتلمانات غربيين يُديرون اعمالا في بازار شرقي، ولكن حقيقة الأمر هي أننا معتادون على خداع «أنفسنا» بصورة أساسية.

عندما قال السادات: «ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة»، ملِنا الى التشكيك في قسَمِه هذا الى أن شاهدناه يتحقق أمام أعيننا. وعندما قال عرفات انه مستعد للتضحية بمليون شهيد على طريق القدس وأن اتفاقه معنا يماثل اتفاق الحُديبية ملنا الى السخرية منه الى أن تأكدنا بأم أعيننا أنه يقَصد ما يقوله. وعليه، يحسن بنا أن نصغي الى امور تشبه تلك التي قالها خالد مشعل، الزعيم الأهم لحركة حماس، في الاحتفال بذكرى تأسيس حركته: «المقاومة هي خيار استراتيجي الى أن يتم تحرير آخر شبر من ارض فلسطين ويعود آخر لاجىء اليها». ليس هذا تكتيكا يهدف الى إثارة حماسة أنصار حركته وانما استراتيجية يتوجب علينا أن نوجه فعلنا نحوها. مشعل يتحدث بلسان الحقيقة.

ديمقراطية «غوغل»

نحو 100 مليون صيني يستخدمون شبكة الانترنت. عددهم سيزداد بسرعة، والشركات التي تتشبث بهذه السوق ستربح اموالا طائلة منها. «غوغل»، الشركة صاحبة محرك البحث الأكثر انتشارًا في العالم، حظيت بامتياز العمل على ارض الصين شريطة أن تمنع المستخدمين للانترنت من الوصول الى معلومات تتناقض معَ موقف الحكومة. الموقع الصيني استُثمر في الاسبوع الماضي وملايين الصينيين بدأوا في استخدامه، ولكن من يحاول منهم أن يبحث عن قيم مثل «التبت» أو «فالون غونغ»، كان يُرسل لمقالات دعاوية تعبر عن موقف السلطات.

الباحثون عن المعلومات يقولون إن شركة «غوغل» التي تصاعدت قيمتها بأكبر سرعة في التاريخ الاقتصادي أساءت كثيرا (خلافا لاسمها الذي يجسد الوصايا العشر وهو «لا تُسيء») من خلال خضوعها للنظام الصيني الدكتاتوري. خيانة هذه الشركة للمبدأ الذي نقشته على اسمها تتجسد من خلال ما كتبه توم فريدمان في كتابه «العالم سطحي»، الذي تُرجم للعبرية مؤخرا: «اذا كان هناك لانسان هاتف ارضي أو امكانية للوصول الى الانترنت، سواء كان صبيا من كمبوديا أو محاضرا في الجامعة أو مديرا ممنوعا من البحث مثلي، فسيكون لدينا جميعا نفس المسلك الأساسي لنفس المعلومات. هذا يعني المساواة المطلقة».

هذه الدُرر خرجت من فم أحد مبتدعي «غوغل»، سيرغي براين، وهو من مواليد الاتحاد السوفييتي الذي حددت به السلطات نوع المعلومات المسموح نشرها وما هي المعلومات التي يُتوقع أن يُعاقب ناشروها. يمكن الافتراض أن براين تذكر ايام الدكتاتورية التي عاشها عندما تلفظ بهذه الكلمات. كان من المفترض أن تُزيل شبكة الانترنت كل الحواجز أمام وصول الناس للكنوز التي جمعتها الانسانية. احتكار هذه المعلومات هو سلاح القامعين الساحق، وعليه كان على الشبكة ومحركات البحث أن يكونوا من كبار المحررين في التاريخ. على المستوى الفعلي هذه الشبكة آخذة في التلوث لأن الديمقراطية والحرية هما قيمتان تُضحي الولايات المتحدة من أجلهما بجنودها، الذين يهاجمهم الطمع الذي هو قيمة مقدسة في امريكا.

يارون لندن
كاتب يساري
(يديعوت احرونوت) 2006/1/31

الامريكيون لم يسمعوا لتحذير أن عواقب فرض الديمقراطية على أناس يعيشون تحت الاحتلال سينتهي بكارثة

دمار السلطة كان متوقعا إلا أن موفاز وديختر وشارون معهما رفضوا الاعتراف بالحقيقة

■ مراقب الدولة الجديد، القاضي ميخا لندن شتراوس، استطاع حتى الآن كشف النقاب عن أن الاعتبارات الأمنية لدى وزير الدفاع موفاز، ليست سابقة للسياسة دائما. عملية المحاسبة الخاصة حول حماية المستوطنات في منطقة غلاف غزة، تُظهر أن مراقب الدولة قد تطرق الى أن عملية النقاش التي جرت في حزيران (يونيو) 2004 حول خطة حماية وتحصين تلك المناطق قد شهدت تحذيرا من موفاز لكبار قادة الجيش من «اطلاق التصريحات والقيام بخطوات في مجال التحصين، وبصورة عامة، التي من شأنها أن تثير الشعور بأن الوضع الأمني سيسوء بعد فك الارتباط». رسالة الوزير، حسب رأي المراقب، استوعبت جيدا في المراتب العسكرية. «الخطة لم تُنفذ عمليا»، كتب المراقب بأحرف بيضاء مخصصة لذلك.

التركيز الاستحواذي على «اخفاق الشباك الاستخباري» الذي لم يتوقع انتصار حماس وتنبأ لها «فقط» بـ 35 ـ 40 في المئة، يحرف الأنظار عن الفضيحة الحقيقية. لدى رئيس الوزراء، اريئيل شارون، ووزير الدفاع شاؤول موفاز، كان هناك أكثر من تقدير استخباري يحذر من أن الانسحاب من قطاع غزة من دون سياقه السياسي سيُضعف أبو مازن أكثر فأكثر ويعزز من قوة حماس. سلسلة الانتصارات التي حققتها حماس في الانتخابات البلدية أعطت تأكيدا لتلك التقديرات.

رئيس «الشاباك»، يوفال ديسكن، لم يخف مخاوفه عن اعضاء الكنيست ايضا. في جلسة لجنة الخارجية والأمن التي جرت في كانون الاول وصف تصاعد مكانة حماس عشية الانتخابات بكلمتي «مصيبة كبيرة». في المداولات المغلقة قام ديسكن بتحليل تأثير سياسة اللاشريك على توازن القوى السياسي في المناطق ووصف بتوسع مؤشرات انهيار المجتمع الفلسطيني. جيمس وولفنسون، المبعوث الخاص للرباعية الدولية، أصر منذ قدومه الى هنا على الربط بين صعود حماس وبين الضائقة المتزايدة في المناطق. هو ايضا لم يحجب انطباعاته عن موفاز وغيره من كبار القادة الاسرائيليين. وولفنسون ناشد وتوسل تقريبا، من وزير الدفاع ومساعديه بأن يقوموا بإلقاء عظمة لأبو مازن على صورة السيطرة على المعابر بعد أن قاموا بمنح حماس الاسهام الأكبر في اخلاء القطاع.

الوزيران شمعون بيريس وحاييم رامون، اللذان كانا مسؤولين حينئذ عن التنسيق المدني لفك الارتباط وأصبحا اليوم رفيقين لموفاز في الحزب، طلبا تدخل رئيس الوزراء. في نهاية المطاف لم يؤدِ إلا تدخل وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس الى انتزاع موافقة موفاز على فتح جزئي للمعابر. في تلك الايام كان موفاز مهتما بالانتخابات التمهيدية في الليكود، وقلقا من انتقادات بنيامين نتنياهو لفك الارتباط عن غزة وصواريخ القسام في سدروت. لم يكن لديه وقت لتفاهات مثل الانتخابات في المناطق، وأمور هامشية مثل احتفالات محمود الزهار، قائد حماس، فوق أنقاض نتساريم ودمار السلطة.

ربما من الأجدر أن يقوم مراقب الدولة باعادة موظفيه الى ديوان وزير الدفاع. هم سيكتشفون هناك أن عملية اتخاذ القرارات بصدد فك الارتباط كانت مصابة كلها بجرثومة الاعتبارات السياسية وليس فقط في قضية تحصين مناطق غلاف غزة.

لُغز ديختر

كان لموفاز شريكان اثنان في اعتقاده الفاشل بامكانية حسم الانتفاضة بقوة الذراع: رئيس هيئة الاركان السابق، موشيه يعلون، ورئيس «الشاباك» السابق، آفي ديختر. الفرق بين الاثنين هو أن يعلون عارض فك الارتباط، وحكم على نفسه بفترة فاصلة قبل الدخول الى المعترك السياسي، هذا اذا دخله أصلا. ديختر سار وراء موفاز الذي اكتفى بعطسة خفيفة على الطريق من قوات الأمن الى قوة كديما.

اليكم امورا كان قد صرح بها في الرابع والعشرين من شباط (فبراير) 2004 أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست: «نحن لا نتوقع تغيرات في غزة إبان فك الارتباط أو بعده. نحن لا نلاحظ حالة فوضى أو امكانية قيام حماس بالسيطرة على القطاع». رئيس «الشاباك» أضاف بأن فتح ـ التنظيم هي التي ستحدد مستقبل السلطة الفلسطينية لأنها أكبر بعشرات المرات من حركة حماس. وعليه توقع ديختر أن تتجنب حماس الحرب الأهلية.

ديختر هو الذي أقنع المستوى السياسي في اسرائيل بأن سياسة الاغتيالات هي الوسيلة المؤكدة لمكافحة حماس. هو دعا حتى خبراء من الولايات المتحدة لتعلم نهج التصفيات منه. وبدأ ايضا بإعدام كبار قادة الذراع العسكرية لحماس ووصل الى الأقل رتبة ومن ثم استمر في اتجاه القادة السياسيين المتطرفين. في نهاية المطاف شُفي من الانتقائية وقام بالقضاء على كل من يجده أمام دائرة التصويب. التصفيات تُبلّت بالحواجز والاغلاقات، والمسألة الأهم من كل ذلك، هي أن ديختر تمكن في نهاية المطاف من إبراز انخفاض في منحنى العمليات في آخر ولايته. هو لم يُصغ للمختصين من الباحثين الذين حذروا من أن كل اغتيال لأحد اعضاء حماس انما يقضي على فرصة فوز أي فتحاوي في اوساط الرأي العام.

وربما من ناحية ديختر يعتبر كل فلسطيني أصلا ارهابيا. في الحادي والثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) 2000، وبعد ثلاثة اشهر من اندلاع الانتفاضة، اقتبس زئيف شيف في «هآرتس» من اقوال ديختر الذي تحدث في جلسة المجلس الوزاري الخاصة التي عُقدت للبحث في الأزمة. هو كتب أن رئيس «الشاباك» حذر من أن الدولة الفلسطينية الناهضة ستكون «دولة لجوء للارهاب وتنشأ فيها ظروف الدفيئة للاعمال الارهابية». اليوم ديختر نفسه يخوض المنافسة لانتخابات الكنيست عن حزب يؤيد برنامجه السياسي اقامة الدولة الفلسطينية الى جانب فلسطين. ماذا حدث خلال السنوات الخمس الأخيرة حتى يُغير ديختر من رأيه؟ وهل بعد أن وصل ورثة الاشخاص الذين اغتالهم الى سدة الحكم، لم تعد الدولة الفلسطينية دفيئة للاعمال الارهابية؟.

آفي ديختر

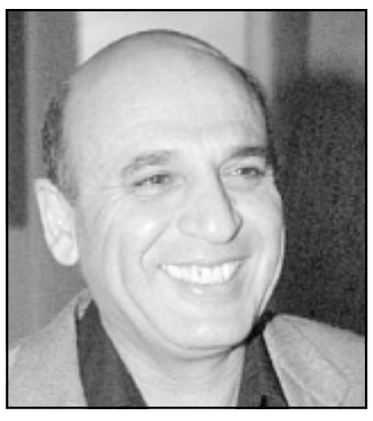
شاؤول موفاز

اريئيل شارون

في صُحبة (ليست) جيدة

الامريكيون ايضا لا يستطيعون القول إن أحدا لم يحذرهم من أن إصرارهم على فرض الديمقراطية على أناس يعيشون تحت الاحتلال سينتهي بكارثة. في يوم الجمعة، العشرين من كانون الثاني (يناير)، أي قبل الانتخابات في المناطق بخمسة ايام، قدّم وزير الداخلية الفلسطيني نصر يوسف لمسؤولين امريكيين كبيرين وهما إليوت أبرامز وديفيد وولش، وثيقة مفصلة حول الآثار المترتبة على الانتخابات. في تلك الوثيقة جاء أنه لا يتوجب استبعاد امكانية انتصار حماس. نصر يوسف، المسؤول عن اجهزة الأمن الفلسطينية، حذر الامريكيين من أن الهزة الارضية لن تتوقف عند حدود قطاع غزة والضفة الغربية. هو كتب أن الهزة ستُلمس في كل أرجاء العالم العربي والاسلامي. حكومة حماس في المناطق، كما حذر نصر يوسف، ستمنح الشرعية للحركات الاسلامية من المغرب حتى اندونيسيا.

الوثيقة استعرضت ايضا تأثير انتصار حماس المحتمل في انتخابات المناطق على الانتخابات الوشيكة في اسرائيل. نصر يوسف الذي ضغط على أبو مازن لتأجيل الانتخابات، كتب للامريكيين، اولئك الذين كانوا قد ضغطوا على الرئيس الفلسطيني لاجراء الانتخابات في موعدها، حول خطر تحوّل حماس الى حزب قانوني وكيفية تحويل السلاح الذي بيدها من خلال ذلك الى سلاح قانوني. الامريكيون أصغوا له وقرأوا وصرحوا بعد ذلك أن الانتخابات ستجري كما هو مخطط لها. ما لم يعرفه نصر يوسف هو ان الانتخابات ستعيده الى مركز الأحداث. عشية الانتخابات وصلت الاختلافات في الرأي بينه وبين أبو مازن الى الذروة وبدا وكأن وزير الداخلية يستطيع أن يجمع حاجياته ليرحل. عملية التصويت الناجحة حولته الى بطل اليوم. الظاهرة الجانبية الهامة هي إضعاف خصمه الرئيس محمد دحلان، الذي فضل في هذه المرة ايضا الجلوس على الجدار. مع الانتهاء من احصاء الاصوات، تبين أن الورقة الوحيدة التي بقيت في يد فتح هي السيطرة على اجهزة الأمن.

بعد أن أفاق أتباع أبو مازن قليلا من الصدمة، ها هم يعكفون على بلورة صيغة تعزز من مكانة الرئيس. في السياق يقترحون أن لا يكون وزير الداخلية خاضعا لرئاسة الوزراء وانما الى الرئيس مباشرة. وربما حتى في مكانة نائب الرئيس. وحتى يزيد من مشاكل حماس المشبعة بالمقاعد البرلمانية، ها هو أبو مازن يسعى الى تسليمهم مهمة السيطرة على الأمن الوقائي، أي أن حماس التي ترفض الاعتراف بدولة اليهود ستكون الطرف الذي يدافع عن اليهود من «الشهداء». حكومة حماس ستضطر ايضا الى اتخاذ قرار اذا كانت تفضل قيام أتباع فتح (85 % من عناصر الشرطة صوتوا لفتح) بالمهمة عنها، أم أنها تفضل توزيع مناصبهم على أتباعها والاظهار بأن كل الاحزاب هي نفس الشيء. وماذا ستفعل مع أكثر من مائة ألف شرطي عاطل عن العمل؟ هل ستصادر سلاحهم؟ هم لن يشعروا بالضجر أبدا.

عكيفا الدار
كاتب ومحلل
(هآرتس) 2006/1/31